

الإِسْرَاءُ وَالْمَعْرَاجُ

(القصة الكاملة)

- من دروس الإسراء والمعراج
- ماذا نتعلم من الإسراء والمعراج

أبو محمد الأزهرى

دار زاهد القدس

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٩٩٧

دار زاهد القدسي للطباعة والنشر والتوزيع

٧٢ شارع البستان - عابدين - القاهرة

تليفون وفاكس: ٣٩١٢١٢٢

ص . ب : ٦٦٣ - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . سبحانه لا شريك له فى ذاته ولا صفاته وأسمائه ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله . ﷺ . وعلى إخوانه الأنبياء الطاهرين . ومن تبعهم جميعاً - على هدى من الله وبصيرة - إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها . وكل محدثة بدعة .

وبعد :

فإن مما يسخن العين أسفاً . أن يجتمع المسلمون كل عام للاحتفال بالإسراء والمعراج ، فيخرج المرء ولم يصطل منهم بنار ،

فضلاً عما تحويه هذه الجلسات من مكذوب الحديث وكثرة التكرار.. وكأن هذه الحادثة ما هي إلا «حدوتة» لا يتعلم المسلمون منها شيئاً. فلما رأيت البلية قد طمت، وعلى أرض المسلمين عمت.. شرعت في وضع شرح لطيف -علّ العين تقربه- أسبر به غورها والتقط فيه دورها. ولا أدعى أني أتيت فيه بما غاب عن الفضلاء. بل ذلك جهد المقل قصدت به الإشارة. وما ألزمت نفسي فيه التقصى بل ما تركت أضعاف ما ذكرت..

فيا أخى المسلم: هذا عقل صاحبه معروض عليك. وبضاعته منجاة إليك. فإن عدم منك دعاءاً وشكراً. فلا يعدم منك عذراً.

والحمد لله أولاً، والحمد لله آخرًا، والحمد مستغرق المحامد . كلها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه

يحيى سوس

غفر الله لوالديه ومشايخه آمين

ملخص قصة الإسراء والمعراج

كما رواها البخارى ومسلم

بينما رسول الله - ﷺ - نائم فى بيته بمكة . فرج سقف البيت ، وأخذ رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام .. فشق جبريل صدره - ﷺ - وغسله من ماء زمزم . ثم جاء بطست من ذهب ، ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغها فى صدره الشريف - ﷺ - ثم أطبق صدره .

ثم أتى جبريل عليه السلام - بدابة أبيض يقال له : البراق . فوق الحمار ودون البغل . يقع خطوه عند منتهى طرفه .. فركبه النبى - ﷺ - حتى أتى بيت المقدس . فربطه بالحلقة التى يربط بها الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه .

ثم دخل رسول الله - ﷺ - فصلى ركعتين ثم خرج . فأتاه جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر وإناء من لبن فاختر اللبن . فقال جبريل : اخترت الفطرة .. وعند البيهقى : أن جبريل

أتاه بإناء من لبن وإناء من عسل فاختر اللبن.. وعند ابن جرير:
أن جبريل أتاه بإناء من خمر وآخر من ماء وثالث من لبن فاختر
اللبن. فقال له جبريل: أصبت الفطرة. ولو شربت الماء لغرقت
وغرقت أمتك. ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك.

ثم عرج برسول الله - ﷺ - إلى السموات العلى فاستفتح
جبريل فقبل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:
محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لهما.

فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة. فإذا نظر قبل
يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحبا بالنبى
الصالح والابن الصالح.

فقال النبى: من هذا؟ فقال جبريل: هذا آدم - عليه السلام
- وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنييه. فأهل اليمين
أهل الجنة. والأسودة التى عن شماله أهل النار. فإذا نظر قبل
يمينه ضحك. وإذا نظر قبل شماله بكى.

ثم صعدا حتى مرا على موسى - عليه السلام - فلماذا
جاوزه النبى - ﷺ - بكى موسى. فنودى: ما يبكيك؟ قال:

رباً هذا غلام بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى ..

ثم صعد فإذا إبراهيم - عليه السلام - فى السماء السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور .. وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .. ورأى رسول الله - ﷺ - نهران ظاهران ونهران باطنان .

فأما الباطنان : فنهران فى الجنة . وأما الظاهران : فالنيل والفرات .

ثم أتى رسول الله بإنائين خمر ولبن فاختار اللبن فقليل له : أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة . وعند أحمد : أتى بخمر ولبن وعسل . فاختار اللبن . فقليل : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك .

ثم ذهب برسول الله إلى سدره المنتهى . فتغشاها من أمر الله ما غشى ، وفرض على رسول الله - ﷺ - خمسين صلاة فى كل يوم وليلة .. فنزل رسول الله حتى أتى موسى فقال له موسى عليه السلام : ما فرض ربك على أمتك ؟

قال : خمسين صلاة . فقال : ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف . فإن أمتك لا يطيقون ذلك فأنى قد بلوت بنى
إسرائيل وخبرتهم . . فما زال رسول الله يرجع بين رب العزة
سبحانه وبين موسى . حتى قال رب العزة سبحانه : يا محمد !
إنهن خمس كل يوم وليلة لكل صلاة عشر . فذلك خمسون
صلاة .

ثم نزل رسول الله - ﷺ - إلى المسجد الأقصى فصلى
بالأنبياء ، ثم خرج فأتاه جبريل - كما روى الإمام أحمد - بإناء
من لبن وآخر من غسل فأخذ اللبن . فقليل أصبت الفطرة .

ثم رجع رسول الله - ﷺ - فأخبر قريشا الخبر . . فسألوه عن
أشياء من بيت المقدس . فجلا الله سبحانه له بيت المقدس .
فطفق يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه .

أخى المسلم : تلکم أبرز حوادث القصة . كما رواها الإمامان
البخارى ومسلم رحمهما الله . عدا ما نبهت عليه منها . . اقرأها
جيداً ، وحاول أن تتدبرها . ففيها من الفوائد . أضعاف أضعاف
ما ذكرت . .

والله سبحانه المسئول أن ينفع بكتابه هذا، وأن يعلمنا ما
ينفعنا . وينفعنا بما علمنا . فإنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

قبل البدء

العرب - عموماً - لم يهتموا بالتواريخ فى أزمانهم الغابرة .
لا تواريخ الشهور والأيام، ولا تواريخ السنين والأعوام . بل كانوا
يحددون الأعوام بالأحداث العظام، كعام حرب البسوس،
وداحس والغبراء، والفجار، وعام الفيل، ونحو ذلك .

وظل هذا الأمر بعد الإسلام، حتى خلافة أمير المؤمنين: عمر
بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه . فهو أول من دون الدواوين،
ووضع التاريخ فى الدولة الإسلامية .

ولأن الذكريات الدينية، كانت متعلقة دائماً بمشاعر
المسلمين الأول، فلم يصنعوا لها احتفالاً وقتئذ .

ومن ثم اختلف العلماء فى تأريخ معظم المناسبات الدينية .
كمولد النبى ﷺ، ورحلة الإسراء والمعراج، وتحويل القبلة،
وغير ذلك ولم يكن الخلاف قاصراً على اليوم أو الشهر بل كان
فى العام كذلك .

وقد أورد النووي رحمه الله - فى شرح مسلم (١ / ٩٠٢) حديث (٤٠٤) كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ - الخلاف فى تاريخ الإسراء فقال (أقل ما كان فيه أنه كان بعد مبعثه - صلى الله عليه وآله وسلم - بخمسة عشر شهرا . وقال الحربى : كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر ، قبل الهجرة بسنة ، وقال الزهرى : كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنين . وقال ابن اسحق : أسرى به - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل) ١٠ هـ .

وثمت أقوال أخرى لأهل العلم .. ولكن مما يؤكد عدم دقة هذه التواريخ ما أجمع عليه العلماء : من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بعد المعراج إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا .

كما أتى بذلك حديث البراء بن عازب رضى الله عنه - عند البخارى (٨ / ١٧٤) حديث (٤٤٩٢) فى تفسير سورة البقرة باب ، ولكل وجهة هو موليها ، ومسلم (٢ / ٦٧٢) حديث (١١٥٧) كتاب الصلاة باب تحويل القبلة - قال البراء « صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو بيت المقدس ستة

عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً. ثم صرفنا نحو الكعبة».

ولذلك: لو كان الإسراء فى رجب، يكون تحويل القبلة فى ذى القعدة، وليس فى شعبان. ولو كان تحويل القبلة فى شعبان، يكون الإسراء فى ربيع الآخر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وعلى كل.. وبرغم هذا الاختلاف فى تاريخ الإسراء، فدعونا نتأمل تلكم القصة التى حفظها المسلمون، وغفلوا عن لطائفها ومرماها. فى حين هزت وقت حدوثها العالم.

* * *

هذا الإسراء.. فأين المعراج؟!

بالرغم من أن القصة اسمها الإسراء والمعراج. نجد رب العزة سبحانه يقول: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله. لنريه من آياتنا، إنه هو السميع البصير».

فأين المعراج؟! لماذا يقص الله سبحانه علينا قصة الإسراء

ويترك المعراج؟ الإسراء انتقال فوق نفس الأرض، من مكان إلى مكان، بينما المعراج انتقال من الأرض إلى السماء. إلى حيث سدرة المنتهى، حيث عرش الرحمن سبحانه... أيهما أعظم وأجل؟؟

لأى شىء وأى علة يذكر الله سبحانه الإسراء ويترك المعراج؟؟

أولاً: ذكر الله سبحانه الإسراء وترك المعراج. لأن المقصود محجة الكافرين واعجازهم.. ولا يقع التحدى إلا بما يعرفونه ويألفونه وهم قوم ألفوا السفر، فهم أرباب تجارة ينتقلون معها فى الشتاء والصيف، وهم يضربون فى سفرهم أكباد الابل شهراً، وهم يعرفون المسجد الأقصى وآياته..

ويوقنون أن محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - لم يذهب إلى المسجد الأقصى، فلا يعرف علاماته، بله أن يعرف ما قد يكون فى الطريق حين ذلك..... ولكن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أخبرهم بالمسجد وآياته، بل أخبرهم بما وجد فى الطريق.

وبذلك وقعت عليهم الحجة، وانقطعت معارضتهم.

بينما المعراج لا يمكن تحديهم به، لأنهم لا يعرفون شيئاً عما
فى ملكوت السموات.. فلو قال لهم: قد ارتفعت إلى السماء
ورأيت ورأيت، لم تتحقق الحجة عليهم، لأنهم لا يعرفون شيئاً
عن ذلك أصلاً.

ثانياً: ليس المقصود بالمعراج التحدى والإعجاز، ولو قصد
به الإعجاز، لكان المعراج عياناً.. ولكنه كان ليلاً خفياً، بل لم
يخبر النبى المشركين بعروجه للسموات..

أقول ومن الله استمد العون: المعجزة من العجز – ضد القدرة
– وهى إثبات العجز فى الغير بتحديه أن يأتى بمثلها أو
يقاربها..

وقد كان كفار مكة سألوا رسول الله – صلى الله عليه وآله
وسلم – أن يرقى السماء، ولكنهم قصدوا بذلك تعجيزه
فقالوا: ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه.. ولذلك
لم يجبههم الله سبحانه، وكان الرقى بالنبى إلى السماء بعيداً عن
التحدى والإعجاز.

ولذلك لم يذكره الله سبحانه، بل ذكر الإسراء فقط.. وكان
لسان القدر ينطق.. لا تعارضوه فى المعراج، أو تطلبوا منه الرقى
إلى السماء، ولكن تحدوه - إن كان فى مقدوركم فى ذلك
الإسراء، الذى هو سفر قد أفتموه... أما المعراج الأعظم،
فأعفيكم منه. فليس المعراج لكم، وإنما المعراج منحة ومنة ربانية
إلى عبده ومصطفاه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم»..

ولذلك قال سبحانه: ﴿أَفْتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (١٢)

[النجم: ١٢].

يقال: ماراه مرأً وممارة إذا جادله واعترض عليه..

والمعنى: أجادلونه وتعارضونه فيما رآه ولم يتحداكم به،
عندما رأى جبريل على صورته، وعندما رأى سدرة المنتهى
و... إنه لم يتحداكم بكل ذلك، فلا تجادلوه فيه، بل جادلوه
فى الإسراء وما تحداكم به إن كان فى مقدوركم.

* * *

لماذا رحلة المعراج؟

ذكرنا أن المعراج لم يكن مقصودا به التحدى، وإنما كان منحة ربانية إلى محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد نال النبی هذه الهدية باخلاص عبوديته لله سبحانه.. ولذلك قال سبحانه «سبحان الذى أسرى بعبده..» إنما نال هذه الرحلة بعبوديته لله سبحانه تلك العبودية التى شرفته وكرمته، وسمت به ليكون سيد ولد آدم.

إن العبودية لله سبحانه هى الشرف الأسمى، والمنزلة الأرقى
إن العبودية لله هى الحرية فى أرقى معانيها.. ولذلك قال ربى
بن عامر - رضى الله عنه - قوله الخالدة «جئنا لنخرج من شاء
من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد».

بينما التحرر من العبودية لله - إن جاز هذا التعبير - هو
الذل بكل ما تحويه معانى الذلة والمسكنة. إنه عبودية للشهوات
البهيمية، وأراذل الخلق. ولذلم قال النبی - صلى الله عليه وآله وسلم -
«كل الناس يغدوا فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها».

من باع نفسه لله وحده فقد حررها، ومن باع نفسه بالهوان
والبخس.

من يهن يهن الهوان عليه ما الجرح بميت إيلام
إن الكل عبيد لله سبحانه - شاء ذلك العبد أم أباه - الكل
تحت ملكه وقهره سبحانه. ولذا قال سبحانه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، إن
هذه العبودية - عبودية الملك والقهر - لا يستطيع الإنسان أن
ينفك عنها..

أما عبودية الحب والطاعة، فهي التي ترفع الإنسان لترقى به
في مصاف الأطهار البررة.. وقد بلغ النبي - صلى الله عليه وآله
وسلم - قمة هذه العبودية. ولذلك وصفه الله سبحانه بها في
أكمل أحواله في الإسراء، والتحدى، والدعوة، و....

تذييل

في الإخبار عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بلفظ
عبد.. إشارة إلى بشريته - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنه

برغم كمال أحواله فهو بشر وعبد لله سبحانه .. فلا يرفع عن منزلته، وينسب له ما لا ينسب إلا إلى الله سبحانه .. فهو - صلى الله عليه وآله وسلم - لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا - بله غيره، ولا يعلم الغيب . كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ... ﴾ (١٨٨) [الأعراف : ١٨٨] ، فلا يصح أن يقال فيه - صلى الله عليه وآله وسلم - نحو قول بعضهم .

فإن من جودك الدنيا وضررتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

ولذا قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - « لا تطروني ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » البخارى .

التجهيز للرحلة وشق الصدر

بينما رسول الله - ﷺ - نائم فى بيته بمكة . فرج سقف البيت ، وأخذ رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام .. فشق جبريل صدره

- ﷺ - وغسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب، ممتلئ
حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدره الشريف - ﷺ - ثم أطبق
صدره.

إن لقاء الله سبحانه . لا بد من الاستعداد له بتطهير القلب من
كل سوء يكون قد ألم به، من ذنوب ومعاصي، وأى شيء
للشيطان فيه نصيب .

ولذلك قال النبي - ﷺ - « ... ألا وأن في الجسد مضغة،
إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله .
ألا وهي القلب » رواه الستة في إصلاح القلب وتطهيره هو
الفيصل في صلاح العبد وفساده . وقد قال ابن حبان البستي
رحمه الله « من أصلح جوانيه . أصلح الله برانيه، ومن فسد
جوانيه أفسد الله برانيه » ١ . هـ .

وفساد القلب يوقع في الشرك أو الرياء - والعياذ بالله « وإنما
لكل امرئ ما نوى »، ولذلك قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)
قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) ﴾ [المدثر: ١ -
٤] .. وربك فكبر . قالوا عظم . أى : ادعوا إلى الله سبحانه .

أقول: وقد يكون ادعوا الله وحده. قم بين يديه سبحانه مكبرا له، ولذلك طهر ثيابك. قال كثير من المفسرين: الثياب هنا القلب. ١. هـ.

فجعل سبحانه طهارة القلب شرطا للوقوف بين يديه، وتكبيره سبحانه والإقبال عليه ولذلك - والله أعلم - شرع سبحانه الوضوء لأمه محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى يقفوا بين يدي الله طاهرين غير مدنسين بالذنوب والمفاسد، بل يتطهرون من ذنوبهم قبل الوقوف بين يديه سبحانه. كما قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقيا من الذنوب» رواه مسلم والترمذي.

وأعضاء الوضوء - عدا الرأس - محل الذنوب وأسبابها. لذلك أمر الله بغسلها، أما الرأس فلما كان ليس محلا للذنوب

كان المسح فيه، وكأنه تذكير للعقل، ومسح لسوء تفكيره، ولم يلزم الغسل. لأن الغسل قد عم مداخل الفكر قبلاً - العين والأنف واللسان - والله سبحانه وتعالى أعلم.

مبدأ الرحلة البيت الحرام

بدأت الرحلة من المسجد الحرام كما قال سبحانه « سبحانه الذى أسرى بعبد له ليلًا من المسجد الحرام » وانتهت بالرجوع إلى المسجد الحرام.

فما هى مؤهلات هذا البيت ليكون المبدأ والنهاية؟ ولماذا هو حرام؟

١ - البيت الحرام أول بيت وضع للناس ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قالوا: بنى قبل آدم عليه السلام بألفى عام. وقالوا: بل بناه آدم، وقالوا: بل إبراهيم عليه السلام.

وبرغم ذلك يبقى أول بيت وضع للناس.. قال أبو ذر رضى الله عنه قلت: يا رسول الله: أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام.. رواه البخارى إنه بيت على